مجلة جامعة كربلاء العلمية المجلد االخامس / العدد الثاني إنساني حزيران ٢٠٠٧

البيئة في الاسلام وعي واخلاق

Environment in Islam : Awareness and Ethics

أ.م.د صفاء جاسم محمد كلية تربية المثنى /جامعة القادسية

المقدمة

تشكل بيئة الأرض وحدة متماسكة أحد عناصرها هو الإنسان ، والإنسان سيد أحياء الأرض خلقه الله في احسن تقويم واودع فيه قدرات عقلية وجسدية وقابلية على التكيف المستمر في سبيل تحقيق سعادته في الدنيا ونجاته في الآخرة وبذلك استحق أن يكون خليفة الله في الأرض فاوكل أليه مهمة تعمير الأرض وادارة عملية التغيير، بالمقابل جعله مسؤولا من خلال تلك القدرات .فالإنسان اثمن ما في الوجود غير انه قلما يتصرف في ضوء هذه الحقيقة وينجم عن ذلك مشكلات ، إذ يشكل الاهتمام الجدي بالمشكلات البيئية ظاهرة حديثة العهد نسبيا في مجتمعنا المعاصر ولعل مشكلات البيئة المتزايدة والمتعددة تتصدر قائمة القضايا المعاصرة التي أفرزتها حركة التطور العلمي والتقني وتقنياتها، والإنسان بطبيعة الحال واحد من مكونات البيئة دائم التأثير والتأثر في إطار التفاعل المستمر مع عناصرها المختلفة، ومن الطبيعي أن يشغل الاهتمام بالبيئة أولوية متميزة على سلم أولويات العلوم الإنسانية والتطبيقية، فالبيئة هي المجال الحيوي Biosphere المتأثر بكامل السلوك الإنساني الذي سيطر علية النمط الرأسمالي الاستهلاكي اللامبالي لتنعكس آثاره السيئة على الإنسان والبيئة منذرة بالفناء مما يوجب اتباع نهج إنساني متحضر ومسؤول في التواصل بين الإنسان والبيئة وهذا مادعى الى العديد من المؤتمرات والمعاهدات الدولية التي عجزت حتى الان بما فيها مؤتمر فيلاخ في النمسا عام ١٩٨٥ ومؤتمر هلسنكي في فلندا عام ١٩٨٩ ومؤتمر ريودي جانيرو في البرازيل عام ١٩٩٢ ومؤتمر لندن عام ١٩٩٥ ومؤتمر كيوتو في اليابان عام ١٩٩٧ ومؤتمر لاهاي في هولندا عام ٢٠٠٠ ومؤتمر قمة الأرض في جوهانسبيرج في جنوب أفريقيا عام ٢٠٠٢ عن تحقيق التوازن المطلوب بين الطموح الإنساني علميا وتقنيا من جهة وبين المحافظة على نظافة البيئة وسلامتها وتحقيق التنمية المستدامة من جهة أخرى .ويمكن للفكر الإسلامي الرشيد ان يواجه هذا التحدي من خلال صياغة جديدة لفلسفتنا الإسلامية تؤكد أصالة الفكر العلمي الإسلامي وتظهر قدرته على استيعاب حركة العصر وتقديم الحلول الشافية لمشكلاته المختلفة بنظرية متكاملة قادرة على دراسة الأخر والحكم عليه وبالتالي مواجهة سلبيات التي خلفتها حضارته المادية، كل ذلك يجعل الإنسان المسلم يقدر البيئة الانسانية والطبيعية ويقيها من التدهور والدمار من اجل تحقيق بيئة الأمن والسلام على الكرة الأرضية وصدق الله العلي العظيم اذ يقول (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) سورة الأنبياء الآية (١٠٤) . يضم البحث ٣٠ آية قرآنية تظهر عظمة الخالق حول الإنسان والبيئة. كما يهدف البحث إلى :

١- إظهار السبق القرآني والسنة النبوية الشريفة والتي سبقت المؤتمرات والمعاهدات الدولية للبيئة بأكثر من ألف وأربعمائة سنة. و التي عجزت هذه المؤتمرات لحمايةالبيئة وتحقيق التنمية المستدامة*.ولو اتبعت الدول ما جاء به الفكرالإسلامي الرشيد من حكمة ومنطق وفلسفة وعلم في بناءالإنسان واستثمارموارد البيئة بشكل عقلاني لما وصلت إليه البيئة الآن من تدهور.

٢- إن القران هو المبدأ الرئيس للتمدن وكافة التطورات المادية والمعنوية والسيادة البشرية. والدراسة الحالية تتناول هذه القضية من جوانب عدة فكرية وعلمية وتربوية وإنسانية وبيئية ويتألف البحث من ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول البيئة ومشكلات التلوث البيئي، أما المبحث الثاني تناول تحليل تطور العلاقة بين الإنسان والبيئة ، أما المبحث الثالث تناول التربية البيئية من منظور إسلامي والتشريعات الإسلامية لحماية البيئة.

Abstract

This modest study aims at shedding light on one of the issues that has emerged from the contemporary movement of scientific and technical progress , namely the issue of man and environment and the deterioration inflicted upon it as a result of an instrumental dominant thought despite its inability to manage the culture which it has produced. This means that Islamic thought should promote its mechanism to copy with the reality through a complete and comprehensive theory which is able to study environment and passing judgment regarding it , thus confronting the negative aspects caused by its materialistic culture and rectifying the direction of human culture according to constructive Islamic values. Environment from the viewpoint of Islam relates exclusively to the endurance of man who is charged with the trust of being a caliph on earth. Man, therefore, has deserved bearing this trust without abusing the blessings constituting the elements of environment or behaving towards it in an illegal or incorrect way in order to achieve a narrow personal interest. Man has to take care of earth and construct it through spreading welfare and peace and working on showing the greatness and omnipotence of the creator by making positive use of all creatures which God has subjected for man as plainly manifested in His Holy saying " He has originated you from earth and made you husband it " (Hud: verse 61) This can not be realized except through two things: the first of which is to preserve the goodness of that which is good and not to make mischief on it while the second is to rehabilitate that which was damaged and increase in that rehabilitation. There is no doubt that both things are good for the protection and safety of environment. This is an invitation for us all to contribute towards a peaceful and healthy environment in line with His Holy saying " Eat and drink out of the provision of God and don't go through earth making mischief" (The cow: verse 60)

التنمية المستدامه* sustainable development هي محاولة الموازنه بين كل من النظامين البيئي والاقتصادي بحيث تكون هذه التنمية في أقل قدر من استنزاف للموارد الطبيعية بعيداً عن التبذير وكذلك في توفير الحد الادنى من تأثير الاسترداد من التلوث الناتج عن المخلفات بكافة انواعها وهي تحقق بشكل عادل الاحتياجات الاقتصادية والبيئية للاجيال الحالية والمقبلة .

المبحث الاول:

البيئة ومشكلات التلوث البيئي

البيئة والباءة و المباءة في اللغة العربية أسماء بمعنى المنزل الذي يأوى أليه الانسان او الحيوان ويقيم فيه وهي مشتقة من الفعل بوّأ بتشديد الواو فيقال اباءه منزلا وبؤأه اياه وبوّأه له وبوّأه فيه بمعنى هيأه له وانزله ومكن له فيه قال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) سورة العنكبوت الآية (٥٨) وتوصف هيأة التبيؤ وحاله بالحسن او السوء فيقال : انه لحسن البيئة او انه باء ببيئة سوء [١] . والحديث عن البيئة لابد ان لا يمزج بين مفهومي الايكولوجيا (التبيؤ) Ecology والبيئة Environment فعلم الايكولوجيا هو احد فروع علم الاحياء الذي عرفه لاول مرة العالم هيجل E. Heackel عام ١٨٦٦ بانه العلم الذي يبحث بعلاقات الكائنات الحية مع بعضها البعض مع المحيط او الوسط الذي تعيش فيه اما علم البيئة فهو يبحث في المحيط او الوسط الذي تعيش فيه الكائنات الحية ويدعى ايضا بالمحيط الحيوي Biosphere [٢] ، الذي يتضمن بمعناه الواسع العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي تؤثر على افرد وجماعات
الكائنات الحية وتحدد شكلها وعلاقتها وبقائها[٣] .

والبيئة أيضا العلاقة الاساسية القائمة في العالم الطبيعي والبيوفيزياوي بينه وبين العالم الاجتماعي– السياسي الذي هو من صنع الانسان[٤] .

فالبيئة اذن بمفهومها العام هي الوسط او المجال المكاني الذي يعيش فيه الانسان يتاثر به ويؤثر فيه هذا قد يتسع ليشمل منطقة كبيرة جدا وقد تضيق دائرته ليشمل منطقة صغيرة لا تتعدى
البيت الذي يسكن فيه أي انها كل ما تخبرنا به حاسة السمع والبصر والشم والتذوق واللمس سواء ان هذا من صنع الطبيعة او من صنع الانسان ، واكد اعلان مؤتمر استوكهولم في السويد عام ١٩٧٢ (مؤتمر الامم المتحدة للبيئة البشرية) Conference on Human Environment هذا المفهوم للبيئة بانها كل شئ يحيط بالانسان Environment is very thing that surround man .

ومن هذا المفهوم نستطيع ان نلخص ابعاد البيئة بمفهومها الواسع الى :

١. البيئة الطبيعية Natural Environment .
البيئة البشرية Human Environment . ويطلق عليها ايضا Man- made- Environment .

فالبيئة هي نعمة الله للانسان وعليه ان يحصل على رزقه ويمارس علاقاته وان اتلاف وافساد البيئة مصداقاً لقوله(كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين) سورة البقرة الآيه (٦٠) . كما قال تعالى (فاذكروا الآء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين) سورة الاعراف الآيه (٧٤) ،فالانسان كائن ضعيف تغلبه شهوات النفس ورغباتها فتعميه عن الحقيقة وقد تؤدي به الى الخروج عن النهج الذي اراده الله والذي يحقق فيه الانسجام مع قوانين البيئة التي خلقها الله فيسئ بعدم عقلانية وبشهواته الى البيئة وبالتالي الى نفسه قال تعالى (ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن) سورة المؤمنون الآية(٧١) ومن اجل هذا كان لا بد من قانون الهي يرسم للانسان السبيل الذي يبقيه دائما بانسجام مع الطبيعة وقوانينها الإلهية.والبيئة هي من العلوم البينية Interdisciplinary الحديثة التي تتجاذبها اختصاصات علمية متعددة طبيعية كانت ام انسانية وهي تتضمن مفهومين هما :

(١) - **مفهوم النظام البيئي Ecosystem :-**

(٢) يطلق على أي وحدة تتكون من كائنات حية ومكونات غير حية تتفاعل مع بعضها البعض لتكون نظاما مستقرا في اطار التوازن الكوني الشامل الذي قدره الخالق سبحانه وتعالى لقوانين البيئة المحكمة وموازينها الدقيقة وللمزيد من الايضاح نقول ان عناصر البيئة تتفاعل وفق نظام معين يطلق علية النظام البيئي ، ويتكون أي نظام من اربع مجموعات هي :

أ- مجموعة العناصر غير الحية .
ب- مجموعة العناصر الحية المنتجة Food makers .
ت- مجموعة العناصر الحية المستهلكة Consumers .
ث- مجموعة المحللات اوالمفسخات Decomposers .

لذلك اذا حدث أي خلل او نقص في مكونات أي عنصر من هذه العناصر فأن هذا يؤثر في درجة التفاعل داخل النظام البيئي الذي بدا يختل ويضطرب ويفقد توازنه وقدرته العادية على العديد والتي باتت تهدد الأنسان في الوقت الحاضر [٥] ، فالغابة والصحراء والنهر والبحيرة كلها امثلة لنظم بيئية محدودة واكبر النظم البيئية التي نعرفها في الكون هو ذلك الحيز الذي تظهر فيه الحياة على سطح الارض مشتملا على الانسان والحيوان والنبات ويعرف باسم الغلاف او المحيط الحيوي وكل شئ في شبكة الغلاف الحيوي مرتبط بكل الاشياء الاخرى والنظم البيئية لا توجد بمعزل بعضها البعض والتوازن القائم الذي وضعه الله سبحانه وتعالى بين مختلف عناصر البيئة يمكن ملاحظته في كثير من الاشياء التي تقع حولنا فالتوازن البيئي Environmental Equilibrium سر استمرارية البيئة الطبيعية على إعالة الحياة على سطح

الارض دون مشكلات او مخاطر تمس الحياة البشرية ، ونقول بادئ ذي بدء ان الله سبحانه وتعالى عندما خلق الارض وما عليها خلقها بقدر موزون (والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون) سورة الحجر الآية (١٩) .وقد اكد القرآن الكريم حقيقة التوازن البيئي في مواضع مختلفة ونبه العباد الى الحكمة السامية وراء التناسق والنظام في خلق هذا الكون وذلك في قوله تعالى (ان كل شئ خلقناه بقدر) سورة القمر الآية (٤٩) وقوله عز من قال (وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الابقدر معلوم) سورة الحجر الآية (٢١) [٦] .

وعندما نتأمل الواقع البيئي نرى العديد من الاسئلة التي تؤكد سمة التوازن في الكون فالدورة التي تسلكها المياه بين الاحياء نجد في تكرارها وتجددها ما هو جدير بالنظر والاعتبار فنحن نشرب وحيواناتنا وزرعنا تشرب ونشرب كلنا من مياه الينابيع والانهار التي هطلت من السحاب القادم من البحار والمحيطات ثم تروي الاجسام والزروع ويتسرب ما بها من الماء عائدا من حيث جاء سالكا الف فج ليتكون مرة اخرى سحابا وامطارا وينابيع وانهارا وكلما أوغلنا في نظام الكون تجلت لنا قدرة الخالق الذي جعل لكل شئ سببا وكلما عرفنا اكثر تبين ان نجاحات الانسان في العلم والتقنية تأكد لديه في نفس الوقت ضعفه وعجزه الانساني[٧]، فالغلاف الحيوي او بيئة الحياة نظام كبير الحجم كثير التعقيد متنوع المكونات متقن النظم محكم العلاقات تجري عناصره في سلاسل محبوكة الحلقات فهو نظام محكم الصنع يظهر وحدانية الخالق وقدرته وعظمته وسبحان الذي خلق كل شئ وقدره تقديرا[٨].القرآن الكريم يؤسس عقيدة التوحيد من خلال عرضه لمشاهد الكون وانضباط قوانينه وحركته فضلا عن انه يلفت الأنظار الى اهمية اكتشاف قوانين التسخير الكونية باعتبارها اساس التقدم العلمي والتقني لعمارة الارض ومن هنا يمكن القول ان مشكلات البيئة هي بالدرجة الاولى انعكاس الى ما يصيب البيئة من خلل او تدهور في نظامها فمشكلات الجوع والتلوث واستنزاف الموارد والتصحر كلها تعبر بصورة او باخرى عن درجة من درجات الخلل البيئي ومن ثم تصبح المحافظة على التوازن البيئي الطريق الأمثل لتجنب مخاطر هذه المشكلات .

(٢)- مفهوم يتعلق بمصطلح التلوث Pollution

التلوث يعني علميا وجود أي مادة او طاقة في غير مكانها وزمانها المناسبين بكميات غير ملائمة لاستمرار التوازن البيئي . فالماء يعتبر مادة ملوثة اذا ما أضيف بكميات كبيرة الى التربة فيحل محل الهواء ويسبب اختناق جذور النباتات ، والسماد المضاف الى التربة الزراعية لتحسين خصوبتها يكون ملوثا اذا ما اضيفت بكميات غير مناسبة ، والنفط يلوث رمال الشواطئ ومياه البحار والانهار عندما يتسرب اليها وهناك تزايد ما يسمى بتاثير البيوت الزجاجية Green house effect الذي يؤدي الى ارتفاع مستمر في درجة حرارة الغلاف الجوي نتيجة زيادة غاز ثاني اوكسيد الكاربون Co_2 بسب احتراق كميات هائلة من وقود الفحم والنفط والغازات الطبيعية وهناك تزايد مستمر في معدلات التلوث بالمواد الكيميائية والاشعاعات النووية والامواج الكهرومغناطيسية والضوضاء وغيرها. هذا بالامكان الى ما تتضمنه كلمة تلوث من معنى معنوي عندما تدل على تغير يصيب النفس البشرية فيكدرها او الفكر فيفسده او الروح فيضرها وهذا التغير يكون دائما الى ما هو اسوأ او يكون تغييرا من اجل غرض ما [٩]. وهكذا وجد الانسان نفسه متورطا في الانشغال الزائد بثورة العلم والتقنية دون النظر الى اثارها الضارة على مختلف عناصر البيئة بما في ذلك حياة الانسان ذاته وتعالت صيحات التحذير من اخطار التلوث البيئي التي تصيب الحرث والنسل .

وانعقدت الكثير من المؤتمرات العالمية في تاريخ البشرية منها مؤتمر ريودوجانيرو بالبرازيل عام ١٩٩٢ ومؤتمر كيوتو باليابان عام ١٩٩٧ ومؤتمر لاهاي في هولندا عام ٢٠٠٠ ومؤتمر قمة الارض الثانية في جوهانسبرج في جنوب افريقيا عام ٢٠٠٢ لوضع ضمانات ما يسمى بالتنمية المستدامة ومواجهة التهديدات الخطيرة التي تهدد الجنس البشري والمتمثلة في تدهور النظم البيئية الحيوية التي تدعم في كوكب الارض وفي استهلاك الموارد الطبيعية بمعدلات تتجاوز الحد الذي يسمح بالحفاظ على استدامتها وفي اتساع الفجوة بين عالم الاثرياء الذين يزدادون غنى وعالم الفقراء الذين يزدادون فقرا ولكن لم يتحقق شئ وحتى الآن ما توصل اليه المجتمعون بين التوازن المطلوب وبين الطموح الانساني عالميا وتقنيا واقتصاديا من جهة وبين المحافظة على نظام البيئة وسلامتها من جهة اخرى وصدق الله العلي العظيم اذ يقول (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) سورة الروم الآية (٤١) . فالآية الكريمة تشير بوضوح الى الدمار الذي يحدثه الأنسان في البر والبحر والضرر الذي يحدث من جراء عمله [١٠].

المبحث الثاني:

تطور العلاقة بين الانسان والبيئة

يُعد الانسان الجزء الاهم في مكونات المحيط البيئي الذي يضم ملايين الكائنات الحية وغير الحية حيث تخضع علاقتها لنظم وقوانين طبيعية ثابتة غير قابلة للتغير والتبدل حفاظا على التوازن الطبيعي بين مكونات البيئة وعلاقة الانسان بها .وذلك بما يتيح له امكانية استخدام مواردها والاستفادة منها في اطار تجددها ووفرتها حاضرا ومستقبلا في خلق حياة لائقة بكرامة الانسان دون اخلاله بالنظم ويشمل النظام البيئي على مكونات طبيعية واخرى صناعية يفترض امتزاجها ببعضها لتكون نسيجا بديعا للحياة وقد وجب التحكم بقيم واخلاق ومبادئ انسانية الانسان الذي ميزة الله عن سائر مخلوقاته في العقل ليوظفه بالاستفادة مما سخر الله له دون إفساد او تبذير[١١] وباستعراض تطور

العلاقة بين الانسان والبيئة منذ ان ظهر الانسان على سطح الارض وهو يحاول جاهدا ان يستثمر موارد بيئته بطريقة او باخرى لاشباع حاجاته الأساسية أولا والكمالية ثانيا وقد اختلفت هذه العلاقة على المدى الزمني وهو التطور التاريخي على

مدى سنوات عمر الانسان على المستوى الافقي هو اختلاف البيئات من منطقة الى اخرى فالوسط البيئي الذي نعيش فيه في الوقت الحاضر هو محصلة
التطور المستمر منذ بداية الخلق الى ما شاء الله سبحانه وتعالى وعند تطور العلاقات والتفاعل بين الانسان والتطور البيئي الذي يعيش فيه يمكن بيان اهم الاجتهادات الفكرية وذلك بتحليل فلسفة كل مدرسة من مدارس تلك العلاقة .

اولا: النظرية الحتمية (البيئية) Environmentalism and Determinism .

وهي المدرسة التي تعطي للبيئة الطبيعية الوزن الاكبر في مجال العلاقة بين الانسان وبيئته والبعض بالغ في دور البيئة الطبيعية وقال بتأثيرها الشديد في الانسان وآمن بحتميتها في كل فعل من افعال الانسان ولذلك اطلق على اصحاب هذا الاتجاه بالحتميين Deterministics والحتمية قديمة وحديثه في آن واحد فهي ترجع الى الاغريق الذين قالوا بسيطرة البيئة في سلوك الانسان وافعاله وحتى في شكله وخلقته[١٢] وهي تؤمن بان الانسان مسير وليس مخير وهي في الحقيقة دعوة قديمة قدم الفكر الجغرافي ومن روادها الاقدمين هيبوقراط وارسطو وظهر نفس الاتجاه في العصر الوسيط والحديث كما في مقدمة ابن خلدون وبودان Bodin ومونتسيكو Montesquieu وفي منتصف القرن التاسع عشر ظهر هوكر Hooker ولاس Wallace وريتر Retter وآرنست هيجل E.Heakel الذي تاثر بافكاره راتزل Ratzel وداروِن ، اذ تناول بالشرح والتحليل العلاقة بين البيئة والانسان ومدى تاثير الانسان بما يحيط من عناصر البيئة الطبيعية وجاءت الن تشرشل سمبل Ellen semple التي تاثرت باراء راتزل وتؤكد على تأثير البيئة على الانسان وحتميتها عام ١٩١١ وفيها تطرقت في ارائها الحتمية حيث قالت " ان الانسان نتاج سطح الارض " وليس معنى هذا انه جزء من الارض وجزء من ترابها ولكن معناه ان الارض أرضعته وغذته وحددت واجباته ووجهت افكاره وجابهته بالصعاب التي تقوي جسمه وتشحذ عقله واعطته مشاكل الملاحة ومشاكل الري و نفس الوقت همست له بحلول لتلك المشاكل ، وبمعنى اخر ان البيئة هي كل شئ في حياة الانسان ، ومن مؤيدي الحتمية فيكتور كزن F.Kizn من اقواله الشهيرة " اعطني خريطة لبيئة ما ومعلومات كافية عن موقعها ومناخها ومواردها الطبيعية بامكاني على ضوء ذلك ان احدد لك أي نوع من الانسان يمكن ان يعيش في هذه البيئة وما هي نشاطاته الاقتصادية " ، ويرى الزورث هنتنجتون ان نمط معين من المناخ يسود حيث تزداد درجة التحضر وهو بذلك يربط بين المناخ والتطور الحضاري [١٣].

خلاصة القول ان اصحاب هذه المدرسة قد غالوا غلوا شديدا في فكرهم عندما اخضعوا كل شئ للبيئة الطبيعية ولاشك في ان التقدم العلمي و التقني الذي حققه الانسان الآن تغلب به على كثير من المعوقات والعقبات البيئية واستغلال الموارد الطبيعية قد هدم الاساس التي تقوم عليها نظرية الحتمية وافسح المجال لقيام فلسفة جديدة برؤية جديدة اطلق عليها الامكانية Possibilism الذي يعتبر لوسين فيفر Lucien Fever اول من اطلق مصطلح الامكانية .

ثانيا: النظرية الامكانية (الاختيارية) Possibilism

اذا كان القرن التاسع عشر يمثل العصر الذهبي لسيطرة الفكر الحتمي الا انه ما كاد القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين حتى من بقي من دعاة الحتمية فقد نادوا بحتمية حديثة غير صارمة اطلق عليها stop and go determinism فالنظرية الاختيارية او الامكانية هي عكس النظرية الحتمية اذ تقر بايجابية الانسان لانها تُملّكه ارادة فعالة مؤثرة ليس فيما يتخذه من قرارات في كل مجالات حياته وانما له قوة كبيرة على البيئة ايضا فنرى ان الانسان مخير وليس مجرد مخلوق سلبي غير مفكر خاضع تماما لتوازن وضوابط البيئة الطبيعية ولكنه قوة ايجابية فعالة ومفكرة وذات خاصية ديناميكية من التغيير والتطور.

ترتكز فلسفة هذه المدرسة على ان البيئة الطبيعية تقدم للانسان عددامن الاختيارات وان الانسان بمحض ارادته يختار منها ما يتلائم مع قدراته واهدافه وطموحاته وتقاليده ومن مؤيدي هذه النظرية فيدال دي لابلاش V.de lablace وهو مؤسس المدرسة الا مكانية (الاختبارية) ويرى من خلال نظريته هذه ان للانسان دور كبير في تعديل بيئته وتهيئتها وفقا لمتطلباته واحتياجاته ويصف البيئة بانها انسانية cultural وليست طبيعية physical ينبغي دراستها على اساس تاريخي من خلال تحليل جهود الانسان في علاقاته مع البيئة عبر التاريخ ويرى التنوع في عناصرها حيث يختار ما يتلائم منها حسب مهاراته الآلية واليدوية فالعامل الحاكم هذا هو قدرات الانسان وامكانيته التي ظهرت في اقامة الجسور والسدود وشق الانفاق الجبلية وغيرها [١٤] .

وهذا مثال على هذه القدرات الانسانية كحضارة وادي الرافدين والحضارات الانسانية الاخرى في مصر والهند والصين وغيرها ومن رواد هذه النظرية لوسيان فيفر L.Febver واسحاق بومان I.Boman وكارل سورC.Sour اذ يرى هؤلاء ان مظاهر البيئة هي من فعل الانسان مثل الحقول الزراعية واقامة السدود والخزانات وشق الجداول والترع والمبازل ولا يقتصر الامر على الزراعة وانما يمتد للصناعة والمواصلات ووسائل الاتصال وكذلك عن مواقع المدن واختيار مواضعها كانت من الادلة التي استند اليها اصحاب هذه النظرية.

لتاييد النظرية الاختيارية وتحكم الانسان في البيئة . لهذا بين اصحاب هذه النظرية ان البيئة لم تعد مظهرا طبيعيا بل مظهرا انسانيا حضاريا في نفس الوقت ومن ثم ليس هناك قيمة مطلقة صارمة بل هناك امكانية مرنة وان الانسان سيد البيئة والمسيطر عليها فهو الذي حدد نمط استغلاله لموارد البيئة مصادقا لقوله تعالى "ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " سورة الاسراء الآية (٧٠) ولكن المغالات في اهمية دور الانسان الذي يصل الى السيادة للتحكم في بيئته وهو صاحب الكلمة مما نتج عنه مشاكل عديدة بفعل هذه السيادة

شبه المطلقة مثل مشكلات التلوث Pollution والتصحر Desertdification والتضخم السكاني [١٥] كما ان بعض الغازات الناتجة من عوادم المصانع يؤدي وجودها الى تكسير في طبقة الاوزون O_3 التي تحيط بالارض [١٦] والتي قال عنها في القرآن الكريم "وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتنا معرضون " صدق الله العلي العظيم وهذه تندرج تحت جملة عامة مشكلات عدم الاتزان البيئي .

ثالثا: النظرية الاحتمالية (التوافقية) probabilism

تقوم هذه النظرية بدور الوساطة بين كل من انصار الحتمية والاختيارية (الامكانية) للصراع الذي دار بينهما وكان لابد من ظهور نظرية ثالثة جديدة تحاول التوافق بين الاراء المختلفة لذا فيطلق عليها اسم النظرية التوافقية ، هذه النظرية لا تؤمن بالحتمية المطلقة او الامكانية المطلقة وانما تؤمن بدور الانسان والبيئة وتاثير كل منهما على الاخر بشكل متغير فتغلب على بعض البيئات تعاظم تاثير الطبيعة وسلبية تاثير الانسان عليها ويكون العكس في بعض البيئات الاخرى ، واعتمد اصحاب هذه النظرية في تفسيرها على تصنيف نوعية البيئة من ناحية ونوعية الانسان من ناحية اخرى حيث يتفاعل الاثنان سويا يشكلان جوهر العلاقة بين الانسان والبيئة تكون طرفي المعادلة على النحو التالي :

الطرف الاول : البيئة

بيئة صعبة **X** ـــــ بيئة سهلة **X**

فالبيئة الصعبة تحتاج الى مجهود كبير من جانب الانسان للتكيف معها بينما الطرف الاخر المتمثل في البيئة السهلة فهي تستجيب لاقل مجهود ويقع بين طرفي هاتين البيئتين بيئات اخرى متفاوته من درجة الصعوبة فكلما اتجهنا ناحية اليمين يتعاظم دور البيئة وكلما اتجهنا شمالا يقل .

الطرف الثاني : الإنسان

انساني ايجابي X ـــــ انسان سلبي X

انسان ايجابي هو الذي يتفاعل مع البيئة بشكل كبير لتحقيق واشباع احتياجاته اما الانسان السلبي فهو انسان محدود القدرات والمهارات ودوره محدود بالمقارنة بالانسان الايجابي ويقع بين هذين الطرفين مجموعات بشرية مختلفة بالمهارات والقدرات في التاثير على البيئي[١٧] ومن ثم فان هذه النظرية اكثر واقعية لانها توضح اشكال عديدة للعلاقة بين الانسان وبيئته دون ان تميز احدى اطراف هذه العلاقة دون غيره وتمثل هذه العلاقة في التنوع الذي يتضح بالشكل الاتي :

بيئة صعبة + انسان سلبي = حتمية بيئية (البيئات الصحراوية وبيئات العروض القطبية العليا)
بيئة سهلة + انسان ايجابي = امكانية (بيئات العروض المدارية والعروض المعتدله)
بيئة صعبة + انسان ايجابي = توافقية (البيئات الموسمية والاستوائية والجبلية)
بيئة سهلة + انسان سلبي = توافقية (بيئات السهول والسهوب وبيئات مختلفة)

وقد اقترب فكر المؤرخ الانكليزي ارنولد توينبي Arond Toynpe من هذه النظرية والتي تحدد علاقة الانسان والبيئة في اربع استجابات مختلفة[١٨] :

١. استجابة سلبية: وهي تعني ان الانسان من خلال تخلفه العلمي والحضاري لا يستطيع ان يطوع بيئته ويقف امامها عاجزا لا حول له ولا قوة يأتمر بامرها ويستكين لتقلباتها .
٢. استجابة التاقلم : وهي درجة أرقى في العلاقة من الحالة الاولى اذ يحاول الانسان وقد أوتي بعض المعرفة من ان يتأقلم مع ظروف بيئته الطبيعية .
٣. استجابة ايجابية : وهي تعني نجاح الانسان في تطوير البيئة بما يتناسب مع رغباته واحتياجاته ويستطيع من خلال مهاراته الإيجابية ان يتغلب على اى معوقات وان كانت بيئة صعبة .
٤. استجابة إبداعية : وهي تعني ان الانسان لا يكتفي بمجرد التاقلم بل يتعدى هذا ليبتكر ويبدع ليتفوق على البيئة ويمثلها حرفة الصناعة وهي أرقى الحرف واكثرها ابرازا لشخصية الانسان ومن كل هذا نرى ان العلاقة بين الانسان والبيئة علاقة متباينة يتعاظم بها دور البيئة تارة ودور الانسان تارة اخرى ومن ثم ان كل من الحتمية المطلقة والامكانية المطلقة مرفوضة من خلال الواقع الذي يعيشه الانسان في البيئات المختلفة لقد صور القران الكريم في كثير من آياته الكريمة حقيقة هذه العلاقة الحميمة بين الانسان باعتباره احد مكونات البيئة وعناصرها بل هو المؤهل للافادة من بقية المكونات والعناصر بما منحه الله من خصائص وملكات ومميزات تجعله الكائن الحضاري الوحيد بين البيئة باعتبارها الاطار الذي يعيش فيه الانسان ولا يستغني عنه لاستمرار حياته قال تعالى " الم تروا ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير " سورة لقمان الآية (٢٠) ، كما ان السنة المطهرة تزخر هذا التصور الانساني بعلاقة المودة الصافية بين الانسان وما تحتوية بيئتة من موجودات حية وغير حية وقد كان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) يستقبل قطرات المطر بفرح ويقول " انها قريبة عهد بالله " وقال ايضا في النخل .." اكرموا بني عماتكم النخل " فذلك منه تعبير عن وشائج الالفه بين الانسان و

الكون باعتبارهما معلولين للوجود الالهي الازلي الابدي واثراً من اثاره ومن البين ان هذا الشعور بالقربى يلقى في النفس بعدا ايماني يزيد من انفساحها للكون والاقبال على التعامل معه بكل الطاقات الابداعية قال تعالى " ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين " سورة القصص الآية(٧٧) ، لا يمكن باي حال من الاحوال تجاهل ما للتراكمات الثقافية عبر اجيال مختلفة من تاثير في تكوين الجذور الايدلوجية لهذه العلاقة التي صاحبة الانسان منذ بدايته حيث قامت التركيبة الاجتماعية بدور اساسي في صهر ودمج النشاط الاقتصادي في داخلها يؤدي وظائفه من خلالها لا منفصل عنها إلا حين برزت العديد من المؤثرات الثقافية متجلية في آراء مالثوس وريكاردو وسمث و ماركس هيفل وغيرهم لتلقي بضلالها على مرحلة جديدة من علاقة الانسان بالبيئة اذ انتزع الاقتصاد من بين ثنايا التوليفة الاجتماعية ليقوم هو بالدور الاساسي في صياغة الحياة وفق قيم مادية مستمدة من الأيديولوجية الراسمالية التي وظفت الجانب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في خدمة آلية السوق الذي داس على القم الحضارية كالعدل والمساوات والتعاون والحب ليحل محلها الكره والبغضاء والتنافس والحروب التي افقدت الانسان توازنه الطبيعي مع الذات الانسانية واصبح اسير معاييره المادية وباي ثمن [١٩] ، ولكن حقق انصار البيئة انجازات تشريعية وقانونية تحد من السلوك المسيئ للبيئة وتوقع عقوبات مالية اضافا الى فرض اعباء مالية اضافية على استخدام الموارد المحددة للحيلولة دون نفاذها ويمكن التوقع في نشر الوعي البيئي من خلال المناهج الدراسية ووسائل الاعلام المختلفة واذا سلمنا جدلا بوصول الشعوب الى مرحلة الوعي بما يهددها من اخطار فأن اسئلة عديدة تفرض نفسها في هذا المقام وتلح على العناصر الواعية المثقفة بتقديم اجابات شافية اذن من هو المسؤول عن انتشار هذا الدمار ؟ هل يحق لنا ان نحمل المواطن الذي بالكاد يحصل على قوت يومه مسئولية واعباء ما يهدد الكون ؟ لمن تعود المكاسب المادية المتحققة على اشلاء البيئة؟ هل صحيح ما يروج من ان انتشار الاوبئة والتلوث والمجاعات عائد الى الانفجار السكاني اذاً لم السماح باستمرار ايديولوجية فاشلة نتاجها انتشار العديد من المشاكل الاجتماعية والبيئية واخيرا يمكن ان نستوعب اسباب معاناتنا وعدم التسليم بها وواقع من ذلك العمل على تجاوزها وعبورها الى مستقبل افضل قائم على علاقات انسانية مادية يمكن من خلالها للانسان ان يستثمر موارده وثرواته بما يكفي حاجاته فقط لا بما يؤدي الى تكديس الربح وسرقت جهد الغير ويدرك ان الزائد عن الحاجة هو حاجة انسان اخر وبذلك نكون قد نجحنا في تقويض ثقافة رأسمالية استغلالية واسسنا عالما قائم على الخير والعدل يتسابق علمائه في الاكتشافات التي تحد من تلوث البيئة والتي توفر الغذاء الكافي للملايين الجائعة ، في ابتكار لاستخدامات جديدة للطاقة الشمسية للحد من التلوث في ظل عالم ترصد فيه المليارات للقضاء على مرض فقدان المناعة أو انفلونزا الطيور بدلا من رصدها للمصانع التي تمد آلية الحرب ولدمار بالأسلحة عملا بقولة تعالى " ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " صدق الله العلي العظيم

المبحث الثالث

التربية البيئية من منظور إسلامي

أولاً :التربية البيئية مفهومها وخصائصها

التربية هي عملية بناء وتنميه للاتجاهات والمفاهيم والمهارات والقدرات والقيم عند الأفراد في اتجاه معين لتحقيق أهداف مرجوة ، والتربية بذلك تكون بمثابة استثمار للموارد البشرية يعطي مردودا ديناميكيا في حياة الافراد وتنمية المجتمعات وفي هذا المفهوم للتربية فان التربية البيئية هي عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقة المعقدة التي تربط الانسان وحضارته بالبيئة التي يحيا فيها وببساطة فان التربية البيئية تعني (التعلم من اجل البيئة)[٢٠] فالتربية البيئية ليست حديثة العهد فلها اصول قديمة ولكنها اكتسبت اهمية اكبر في القرن العشرين نتيجة لانبثاق الوعي بالمشكلات البيئية الكبرى كمشكلة التضخم السكاني ومشكلة الطاقة ومشكلة الغذاء ومشكلة التلوث ومشكلة استنزاف الموارد .ولقد ظل مفهوم التربية البيئية وثيق الصلة في تطوره بمفهوم البيئة ذاتها بالطريقة التي ينظر اليها ولقد بدء الاهتمام بموضوع التربية البيئية فعند مؤتمر ستوكهولم عام ١٩٧٢ تلتها ندوات ومؤتمرات دولية منها الندوة الدولية في بلغراد في يوغسلافيا عام ١٩٧٥ وندوات اقليمية عقدت خلال عامي ١٩٧٧ و١٩٧٨ بمناطق مختلفة من العالم في اطار البرنامج الدولي للتربية البيئة ومن بينها الندوة العربية للتربية البيئية التي عقدت في الكويت عام١٩٧٦ والمؤتمر الدولي الحكومي الذي عقد في مدينة تبليسي في جورجيا في الاتحاد السوفيتي سابقاً في اكتوبر عام ١٩٧٩ كان مؤتمر دولي سعى الى تنمية التربية البيئية ووسائل نشرها كما ان ندوة بلغراد عقدت بدعوة من اليونسكو وبالتعاون مع برنامج الامم المتحدة للبيئة لتحديد غايات واهداف التربية البيئية من اجل ايجاد دعم وعي وطني باهمية البيئة كما بدا الاهتمام بموضوع التربية البيئية فالتعليم النظامي المدرسي بدا يلتفت الى مشكلات البيئة ويستوعبها في المفردات الدراسية المختلفة على اساس الاقناع بان التربية البيئية في اطار الانظمة التربوية المدرسية تساعد على فهم افضل للجوانب الانسانية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للحياة . والتربية البيئية اليوم تبدا من مستوى رياض الاطفال وتسير قدما حتى تغطي باقي مراحل التعليم .

فالتربية اذن هي اتجاه وفكر وفلسفة تهدف الى تسليح الانسان في شتى ارجاء العالم بخلق بيئي او ضمير بيئي يحدد سلوكه وهو يتعامل مع البيئة في أي مجال من مجالاتها والخلق البيئي يجب ان يكون العامل المؤثر في اتخاذ القرارات البيئية مهما كان مستواها كبناء مدينة او انشاء طريق او شق مبازل او اقامة سدود وخزانات او انشاء مصنع او طمر النفايات والتخلص من الملوثات وغيرها وحتى القرارات الاكبر على المستوى السياسي والاقتصادي والحضاري يجب ان تحسب حسابا للبيئة في اطارها العالمي والوطني لان مصالح البشرية واحدة ومستقبل الجنس البشري واحد. واخيرا وليس اخراً فان الخلق البيئي الذي تهدف التربية البيئية الى ايجاده او تنميته عند كل انسان في المجتمع العالمي يعني ان يتكيف الانسان من اجل البيئة لان الخُلق البيئي معناه التعايش مع البيئة بذلك تسهم التربية البيئية في حماية البيئة وهنا قوله سبحانه وتعالى " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم " سورة الرعد الآية(١١) .

ومن خصائص التربية البيئية فانها تتسم بجملة من السمات يمكن ايجازها:

١. التربية البيئية تتجه الى حل مشكلات محددة للبيئة البشرية عن طريق مساعدة الناس من ادراك هذه المشاكل .
٢. التربية البيئية تسعى لتوضيح المشكلات البيئية المعقدة وتؤمن تظافر انواع المعرفة اللازمة لتفسيرها .
٣. التربية البيئية تحرص على ان تنفتح على المجتمع المحلي .
٤. التربية البيئية تسعى بحكم تطبيقاتها ووظيفتها لتوجيه شتى قطاعات المجتمع لبذل جهودها لما تملك من وسائل لفهم البيئة وترشيد ادارتها وتحسينها .
٥. التربية البيئية تتميز بطابع الاستمرارية وتتطلع الى المستقبل .

ثانياً: التشريعات الاسلامية في التربية البيئة

لقد بدء الاسلام بتعريف الانسان بحقيقته حتى لا يطغي ولا يسيئ الى نفسه ولا الى من يحيط به فطالبه بالصلة الراسخة بالله بالسر والعلانية ووظف اسلوب الترغيب والترهيب بضبط السلوك من اجل الوصول الى الايمان لان الايمان يعني سلوكاً انسانيا سوياً ايجابياً في حين شجع الاسلام كل ما هو مفيد للبيئة الانسانية والطبيعية ووضع عقوبات على المسيئ للبيئة بكل جوانبها وبهذا ضبط دائم لسلوك الانسان نحو الخير والعطاء والتضحية والبعد عن الاثم والشر وبالتالي يشكل هذا ركناً من اركان حماية البيئة في السلام وهناك الكثير من المبادئ والاسس في الاسلام التي تحمي البيئة الانسانية وتمنع بالتالي اخطر تدهور للبيئة واقساها الا وهو تدهور الاخلاق وانحطاط القيم وانتشار الرذائل كما ورد لفظ الاصلاح في العديد من الايات القرآنية وفي عدة صيغ كما في قوله تعالى "ان اريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب " سورة هود الاية (٨٨) ، وقد اشار القرآن الكريم في الكثير من المصلحين كما في قوله تعالى " ان الارض يرثها عبادي الصالحون " سورة الانبياء الاية (١٠٥) ، واوجه الاصلاح كثيرة ومتنوعة منها اصلاح العقيدة والعبادات والمعاملات وغيرها من انواع الاصلاح وبهذا فقد امر بالعدل والحرية والمساوات والصدق والامانة وحارب الظلم وكل اشكال الاستغلال والنفاق والغش والكذب والفساد وهذا ما تعاني منه البيئة الانسانية الحالية كمستوى الافراد والشعوب قال تعالى " واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد " سورة البقرة الاية (٢٠٥) .

لقد سبق الدين الاسلامي الحنيف الى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها Conservation of the Environment من آفات التلوث والفساد Pollution of Environment ورسم المنهج الاسلامي Islamic Approach حدود هذه التشريعات على اساس الالتزام بمبداين اساسيين يحددان مسؤولية الانسان حيال البيئة التي يعيش فيها

المبدا الاول : هو "درأ المفاسد " لاضرروا ضرار بالغير Do not harm other or your self and others and should not harm you or there selve

المبدا الثاني : وهو جلب المصالح وبذل كل الجهود التي من شانها ان تحقق الخير والمنفعة للجماعة البشرية .

اذن يتميز المنهج الاسلامي من خلال امر التوسط والاعتدال في كل تصرفات الانسان من اهم عوامل الخلل والاضطراب فبمنظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله سبحانه وتعالى للحياة والاحياء في هذا الكون وهذا لا يعني ان يقف الانسان عاجزاً ازاء النظم البيئية المحيطة به او ان يعطل اداء واجب برامج التنمية الذي تتطلبه امانة الاستخلاف في الارض ولكنه يعني ان الانسان عليه ان يتعامل مع هذه النظم البيئية بما يمكنه من تطويع وتطوير حياته دون استنزاف في استخدام الموارد الطبيعية او التجاوز على حقوق الاخرين .لقد اقام الاسلام بناءه الروحي كله على التوازن والاعتدال والقصد من ذلك في مثل قوله تعالى (كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده و لا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) سورة الانعام الاية (١٤١) بل انه دعا الى الاعتدال حتى في الانفاق فقال تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) سورة الفرقان الاية (٦٧) كما جاء في السنة المطهرة ايضا ينهي الرسول (ص) عن الاسراف في استعمال الماء حتى ولو كان من اجل الوضوء فقد روى عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله (ص) مر بسعد وهو يتوضأ فقال (ما هذا الاسراف ؟ فقال افي الوضوء اسراف ؟ قال : نعم وان كنت على نهر جاري) [٢١] فالوسيطة الرشيدة اذن هي طريق المسلمين ودعوة الاسلام لاتباعه في كل الاحوال وعموم الاوقات ومن ثم فانها خير ضمان لحماية التوازن البيئي الذي سنة الخالق جل وعلا لاحتضان الحياة واستمرار الوجود على كوكب الارض ولقد اجمعت جميع الدراسات والبحوث التي اجريت حول مشكلات التلوث البيئي على وجود علاقة وثيقة بين اسراف الانسان في تعامله مع مكونات البيئة المختلفة وبين التلوث البيئي بجميع اشكاله وان ما تعانيه البيئة اليوم من تدهور شمل ثرواتها التي اوشكت بعضها على النفاذ وغابات ازيلت منها الكثير بالاضافة الى بعض انواع الطيور والحيوانات والكائنات البحرية التي انقرضت او في طريقها الى الانقراض ليس الا نتيجة طبيعية لتدخل الانسان الزائد عن الحد بما يفسد على البيئة نظامها المحكم الدقيق.

ولا شك ان خير وسيلة لانقاذ البشرية او البيئة من اثار الاسراف واستنزاف الموارد الطبيعية دون جدوى او دون اكتراث بالاخطار انما يكون بالعودة الى منهج الدين الاسلامي في الوسطية والاعتدال حيث "لا ضرر ولا ضرار " هذه مبادئ اسلامية ثابتة Islamic principles وهناك ايضا العديد من التعاليم الاسلامية التي تحث على حماية البيئة والاهتمام بالنظافة العامة فالاسلام بكماله وشموله لم يدع شيئا فيه سعادة البشرية ورقيها الا ووضع له الضوابط الدقيقة والمعايير الواضحة ولقد اقترنت النظافة والطهارة في الاسلام بالايمان وان الطهور هو شطر الايمان والقرآن الكريم (لا يمسه الا المطهرون) سورة الواقعة الاية (٧٩) ، والماء الذي جعله الله اصل الحياة ووسيلة التطهر يصفه القران بقوله (وانزلنا من

السماء ماء طهورا) سورة الفرقان الايه (٤٨) وقد ورد لفظ طهر ومشتقاته في القرآن الكريم اكثر من ثلاثين مرة لايجاب طهارة النفس المؤمنة والانسانية في الظاهر والباطن . لقد اثرت بعض الشعائر الدينية المرتبطة بالصلاة الطهارة والبيئة النظيفة الى انتشار الحمامات العامة حتى اصبحت سمة من سمات المدن الاسلامية باعتبار ان الحمام يؤدي وظيفة صحية واصبح هناك ترابطا وثيقا بين الحمام والمسجد في المدينة الاسلامية كما نهى الرسول (ص) عن البول في الماء فقال (لا يبولن احدكم في الماء الدائم ثم يتوضا منه) رواه مسلم في كتاب الطهاره وقد ثبت ان هذا العمل يسبب الامراض الوبائية والمتوطنة وتساعد على انتشارها والنهي عنها ينسحب على جميع الملوثات الاخرى التي تضر بصحة الانسان والحيوان وبقية الكائنات ، وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله (ص) " اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الموارد ، وقارعة الطريق ، وفي الظل) رواه الطبراني عن معاذ كنز العمال ج ٩ / ٢٦٥ ، وفي مجال العناية بالبيئة وعناصرها Elements نجد الاسلام ينهي عن تبوير الارض وتركها بغير زراعة ويدعوا الى الاهتمام بالزراعة وبيان الغاية منها بالنفع العام للانسان والحيوان ففي الحديث الشريف (ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فياكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة) رواه البخاري في كتاب الحرث والمزارعة حديث ٢٣٢٠ كذلك امر الاسلام بالرحمة والاشفاق على الحيوانات باعتبارها احد العناصر الحية في البيئة وقد رويت احاديث عديدة في هذا الامر وانعكست الرحمةعلى الحيوان في ارض الاسلام فكانت هناك اوقات مخصصة لاطعام الحيوانات الضالة وعلاجها وشراء الحبوب الغذائية للطيور وما زال هذا التقليد متبعا حتى اليوم في المراقد المقدسة في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء وبقية الاماكن المقدسة الاخرى، يشتري الناس القمح ويلقونه على ارض الصحن ليلتقطه الحمام الذي يعيش بأعداد كبيرة هناك آمنا على نفسه قريبا من الانسان يعيش معه بل ان الاسلام ينهى عن الافساد في البيئة حتى في اوقات المعارك والجهاد فيقول الرسول (ص) آمرا جنده (لاتقتلوا امراة ولا وليدا ولا شيخا ولا تحرقوا نخيلا ولا زرعا) رواه احمد في مسنده(باقي مسند الانصار)٢٤٣٦٢، حتى بالنسبة لتلوث الضجيج Noise pollution الذي احست به البشرية حديثا نجد ان الاسلام قد سبق الى النهي عن الضجيج باسلوب بليغ يرزل رفع الصوت ويقبحه في صورة منفردة محتقرة وذلك في قوله تعالى على لسان لقمان وهو يوصي ابنه (واقصد في مشيك واغضضمن صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير) سورة لقمان الاية (١٩) .

ثالثاً:البيئة في التراث الاسلامي

يزخر التراث الاسلامي بمؤلفات عديدة حول البيئة وحمايتها من جوانب مختلفة فعلى سبيل المثال ألف الكندي رسالة في الابخرة المصلحة للجو من الاوباء ورسالة في الادوية المشفية من الروائح المؤذية ، ووضع ابن المبرد كتاب اسماه " فنون المنون في الوباء والطاعون " وتحدث ابن سينا في كتابه القانون عن تلوث المياه وكيفية معالجة هذا التلوث ، اما الرازي فقد نشد سلامة البيئة عندما استشاره عضد الدولة في اختيار موقع المستشفى في بغداد واختيار المكان الذي لم يفسد فيه اللحم بسرعة [٢٢] .

كما الف الرازي رسالة في " تاثير فصل الربيع وتغير الهواء تبعا لذلك " بينما تحدث ابن مروان الاندلسي في كتابه " التيسير في المداواة والتدبير " عن فساد الهواء الذي في المستشفيات والبرك ذات الماء الراكد وجاء في كتاب " بستان الاطباء وروضة الاباء " لابن المطران الدمشقي ما يؤكد ضرورة مراعات تاثير البيئة عند تشخيص المرض على الطبيب اذا قدم على مداوات قوم في بلد ان ينظر في وضع المدينة وطبيعة الهواء المحيط بها والمياه الجارية هذه الامور مهمة ثم بعد ذلك ينظر في سائر الشرائط [٢٣] ،

اما ابن قيم الجوزية كتب في كتابه " الطب النبوي " فصلا عن الاوبئة التي تنتشر بسبب السكون الهوائي والاحتراز منها ، كما صنف محمد بن احمد التميمي في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) كتابا كاملا عن التلوث البيئي واسبابه واثاره وطرق مكافحته والوقاية منه وتناول الحديث فيه عن ثلاثية الهواء ، الماء ، التربة وجعل عنوانه " مادة البقاء في اصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الاوباء " وكلما امعنا النظر في نصوص الشريعة الاسلامية وصفحات التراث الاسلامي وجدنا منهجا اسلاميا حكيما ينهي عن التلوث والفساد بخلق تربية اسلامية ويقول قبل كل شئ على رقابة الضير الذي يحترم القانون الالهي لخير الناس اجمعين فلو طبقت تشريعات الاسلام على الوجه الاكمل لما وصل الانسان ببيئته الى هذه الدرجة الخطيرة من التدهور وصدق الله العلي العظيم حيث يقول " ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون " سورة الروم الاية (٤١) وعملا ايضا بقوله تعالى " من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا " سورة المائدة الايه (٣٢) اذ قال الامام علي (عليه السلام) (من احي ارضاً من المؤمنين فهي له وعلية طسقها) وقال الامام الصادق (عليه السلام)(ان رسول الله قضى بين اهل المدينة في مشارب النخيل انه لايمنع نفع الشيء وقضى بين أهل البادية انه لايمنع فضل ماء ليمنع فضل كلأ وقال :لاضرر ولا ضرار)(٢٤) ، فهل هناك شئ ابلغ من هذا في تربية الاسلام للبيئة وحماية مواردها لهذا نجد ان رسالة الاسلام قد اهتمت عن طريق التربية بتنظيم العلاقة بين مكونات البيئة فوضعت نواظم وضوابط لمعاملة الانسان مع نفسه ومع الاخرين ومع الاحياء وما يحيط به وكذلك نظمت العلاقة بين الانسان وبين موارد الارض والسماء ودعت الى حمايتها والحفاظ عليها والى انمائها وسخرت لتحقيق تلك الغايات تربية شاملة ممتدة مدى الحياة من اجل هندسة سلوكية لانسان متكامل يحمل حسا بيئيا سليما وعميقا لارتباطه الدائم مع موجود البيئة ومصمم قوانينها كل ذلك يجعل الانسان المسلم يقدر البيئة الانسانية والطبيعية ويقيها من التدهور والدمار من اجل تحقيق بيئة امنة وسلام على الارض وصدق الله العلي العظيم اذ يقول " وما ارسلناك الا رحمة للعالمين " سورة الانبياء الآية (١٠٤).

الخاتمة

حاولت في هذا البحث المتواضع القاء الضوء على واحدة من القضايا الخطيرة التي افرزتها حركة التقدم العلمي والتقني المعاصر وهي قضية الانسان والبيئة وما اصابها من تدهور في ظل فكر نفعي مهيمن ولكنه عاجز عن ادارة الحضارة التي انجبها فالبيئة من المنظور الاسلامي مرتبطة بتحمل الانسان دون غيره من المخلوقات فانها وعي واخلاق لامانة الخلافة في الارض وان يكون الانسان جديرا بتحمل هذه الامانة دون اساءة أستعمال النعم التي تتكون منها عناصر البيئة . فالخلافة تعني تعمير الارض بأشاعة الخير بالسلام فيها ويتجلى ذلك بقوله تعالى " هو انشائكم من الارض واستعمركم فيها " سورة هود الاية (٦١) ، وقوله تعالى "الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوا ما "سورة الفرقان الاية (٦٧) وقال " ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين " سورة الانعام الاية (١٤١) وقوله ايضاً " ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين " سورة الاسراء الآية (٢٧) .ان اعمار الارض كما جاء في كتب التفسير هو تعمير الارض والسكن فيها وهذا يأتي من أمرين أولهما أن تبقى الصالح على صلاحه ولانُفسده والثاني أن نصلح مايفسد وتزيد اصلاحة.فهل هناك شئ ابلغ من هذا في تربية الاسلام البيئية لحماية موارد الارض ولابد ان نعمل بقوله تعالى " من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا " سورة المائدة الايه(٣٢) انهادعوة لنساهم جميعا في حماية كوكبنا لنعيش جميعا في بيئة آمنة وصحية مصدقا لقوله تعالى " كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين " سورة البقرة الآيه (٦٠) .وهكذا ففي الوقت الذي تخلف فيه القانون الدولي البشري كثيراً عن الانطلاق نحو قاعدة بيئية للتنمية وهذه هي رسالة الاسلام قد اهتمت عن طريق التربية بتنظيم العلاقة بين مكونات البيئة فوضعت نواظم وضوابط لمعاملة الانسان مع نفسه ومع الاخرين ومع الاحياء وكذلك نظمت العلاقة بين الانسان وبين موارد الارض والسماء ودعت الى حمايتها والحفاظ عليها وانمائها وسخرت لتحقيق تلك الغايات تربية شامله ممتده مدى الحياة من أجل هندسة سلوكية لانسان متكامل يحمل حساً بيئياً سلمياً وعميقاً لارتباطه الدائم مع موجود البيئة ومصمم قوانينها

الهوامش

١. باشا، ا.د احمد فؤاد ، الانسان والبيئة والتنمية من منظور اسلامي ، ص٣ ، موقع على الانترنيت http://www.alazhr.com/iraq/j2.htm
٢. العباس ، د.حمزة محمد ، تلوث البيئة ، ص٢١ ، موقع على الانترنيت www.makatovicologytripod.com/pollution
٣. غرايبة، د.سامح ، فرحان ،د.يحيى ، المدخل الى العلوم البيئية، الاردن ، ١٩٧٨ ص١٣ .
٤. المطلك ، د.صالح محمد ، البيئة والتنمية ، مجلد (٢) العدد (١-٢) ، ١٩٨٢ ، جمعية حماية وتحسين البيئة العراقية ، ص٥ .
٥. عبد المقصود ، د. زين العابدين ، البيئة والانسان علاقات ومشكلات ، الاسكندرية ، ١٩٨٧ ص١٥ .
٦. باشا، ا.د احمد فؤاد ، الانسان والبيئة ، مصدر سابق ص٩.
٧. الرميحي د. محمد ، هل هي بداية النهاية لامن الارض ؟ كتاب العربي ، الانسان والبيئة صراع وتوافق ، الكتاب (٢٦) ، ١٩٩٠ ص٣٥.
٨. الحمد ، رشيد وجبار بني ، د. محمد سعيد ، البيئة ومشكلاتها ، ط٢ ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٤ ، ص٣٥ .
٩. باشا، ا.د احمد فؤاد ، الانسان والبيئة ، مصدر سابق ، ص .
١٠. موقع على الانترنيت من شبكة المعلومات العالمية www.arabasafety.com/arabic.subcat.php?cat.19=9-bk
١١. بن عامر ، هدى فتحي ، حوار الانسان مع البيئة ، مجلة البيئة ، السنة الثالثة العدد(١٧) ٢٠٠٣ ، ليبيا ص٣١ .
١٢. الفرا ا.د محمد علي ، اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر ، العدد (٤٩) ، الكويت ، ١٩٨٣ ، ص٣٢ .
١٣. عبد المقصود ، د، زين العابدين ، مصدر سابق ، ص١٠ .
١٤. موقع على الانترنيت من شبكة المعلومات العالمية feed.netlenvironment.environment index-htm-bk www.
١٥. Population broblems in the third world , p.1 www.soet.hawaii-edu/gg/ssk/water po/3-htn-uk
١٦. موقع على الانترنيت من شبكة المعلومات العالمية http://www.tit.net/16ww.htm
١٧. موقع على الانترنيت من شبكة المعلومات العالمية opcit.www.feed.net/environment .
١٨. عبد المقصود ، د. زين الدين ، مصدر سابق ، ص١٤ .
١٩. بن عامر ، هدى فتحي ، حوار الانسان مع البيئة ، مصدر سابق ، ص٣.
٢٠. الحمد ، رشيد وجبار بني ، د. محمد سعيد ، مصدر سابق ، ص٢٤٣ .
٢١. سنن ، بن ماجه ، ص٤٢٥ .
٢٢. باشا، ا.د احمد فؤاد ، سياسات العلوم المعاصرة في التراث الاسلامي ، دراسات تأهيلية دار الهداية ، القاهرة ، ١٩٧٧، ص٢١ .
٢٣. موقع على الانترنيت من شبكة المعلومات العالمية http://www. tit.net/16ww.htm
٢٤. الصدر ،اية الله السيد محمد باقر ،اقتصادنا ط٢ ،مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي،ايران ،٢٠٠٥ .ص٨٦٤ و ص٨٧١ .